وصلنا الفرن سوا . . الواد سلّم الورقه
بتـاعته للفـران ، وأنا سلّمته ورقتي . .
ورجعت له قرب الظهر كانت اللحمه استوت . .
وروّحت البيت أكلت أكلة عمري ما كلت
زيهـا . .

رحمت الفرن . .

مفتاح ١١ .

— رحت الفرن ؟ ! .

تلك كانت الصيحات التقليدية التى كانت تنطلق كل يوم فى شارع خيرت متبادلة بين حنجرتين قويتين مجلجلتين ، الأولى مستقرة على أحد مقاعد ترام رقم ١٢ ، والثانية قابعة على مقعد على رصيف الشارع أو ممسك صاحبها بأحد الأمواس أو ماكينات الحلاقة يجول بها ويصول فى أحد الذقون أو الرؤوس .

كان صاحب الحنجرة الأولى هو أبى . . المرحوم محمد السباعى . . أما صاحب الثانية فقد كان الأسطى محمود ( المزين ) ! .

كان أبى يركب الترام من ميدان السيدة ويجلس على مقعده مهيباً محترماً بين الركاب بجسده الضخم القوى الممتلىء ووجهه الأبيض المشرب بحمرة وبذلته الأنيقة وياقته المنشاة والطربوش الطويل يحجب معظم جبينه ويستقر على حاجبيه . كان يجلس بين الركاب فى نفخة واعتداد . . ويتحرك به الترام فى شارع خيرت . . حتى يمر بالبقعة المعينة فتنطلق منه صيحة مدوية فى جد واهتمام :

ـ هفقت مفتاح ؟ ! .

وفى لمح البصر ترتد إليه الصيحة كأنها صدى الصوت منطلقة من الأسطى محمود ، وقد وقف بقميصه وبنطلونه وصلعته اللامعة يصيح متسائلا فى مثل جد أبى واهتمامه :

ـ رحت الفرن ؟ ! .

وهكذا تنطلق الصيحتان المتسائلتان المتبادلتان والتزام معناً فى سيره . . كأنهما رصاصتان طائشتان لا تنتظران جواباً . . وترتسم على وجوه الركاب دهشة ويحاولون عبثاً أن يفهموا سبباً لما حدث أو معنى لما قيل . . وقد يتساءلون فيما بينهم عما قال أبى وعما قال الأسطى محمود . . وقد ينبئهم خبير سبق له الركوب مع أبى من قبل بأن ما قيل هو : « هفقت مفتاح » و « رحت الفرن » ، ولكنه يعجز عن تفسير معناهما وعما يقصد بهما .

ولست أشك فى أن القارىء مهما بلغ به الذكاء إلا يتساءل فى عجب وحيرة مثل الركاب ولا أظنه واجداً لسؤاله جواباً شافياً .

إن كلمة هفقت ( بفاء مشدّدة ) تعنى فى لغة محمود المزين وفّقت .. وللأسطى محمود لغته الخاصة التى تحتاج إلى قاموس لتبيانها .. وهى تبدو فى نطقها كأنما يقصد بها الهزل والدعابة

فى الوقت الذى ينطقها الرجل فى منتهى الجد . . ولا يقصد بها هزلا قط . . لسبب واحد هو أنه لا يستطيع أن ينطق سواها لأنه أصيب بنزلة جعلت لسانه « ملووقاً » فتعذر عليه النطق السليم .

وكان الرجل من تلقاء نفسه مخلوقاً خفيف الدم مرحاً مهزاراً . . وزاده ثقل لسانه واعوجاج نطقه خفة فوق خفة . . وأصبح حديثه مهما حاول أن يكون جاداً حديثاً فكاهياً مضحكا ! .

كان الأوسطى محمود ينطق « الملوخية » « ملوخله » . . فإذا أراد أن يقول أنه سيتغدى ملوخيه بالفراخ . . كان قوله : « ملوخله بالفيران » . . وإذا أراد أن يضيف أن الحلو « كنافة » قلبها لسانه إلى « كناسة » فأضحى غداؤه الذى يصفه على سبيل التفاخر هو « ملوخله بالفيران والحلو كناسه » ! .

ولم يكن أبى يتخذ الأوسطى محمود مجرد حلاق . . بل كان يتخذه سميراً ومهرجاً وصديقاً وفياً ، ولم يكن يذهب إليه لمجرد الحلاقة ، بل كان يتخذ حانوته أشبه بمقهى ، يقضى فيه معظم أوقات فراغه فيتلهى بمشاهدة الرائحين والرائحات والغادين والغاديات ويتبادل النكات الطائرة مع الأسطى محمود إذا كان منهمكا فى الشغل ، فإذا ما شطب جلس معه يسامره ويسليه !

وكان أول عثور والدى على الأسطى محمود . . أو اكتشافه له . . أقول عثوراً واكتشافاً . . لأن والدى كان يعتبر الأسطى محمود لقطة أو كنزاً . . وكان يفضل صحبته على صحبة رئيس وزراء ، ويعتبر عن إيمان أنه خير وأفضل وأذكى وأظرف من معظم مشاهير البلد الذين كان يسميهم بالأدعياء . . أقول إن أول عثور والدى عليه كان بصالون الأسطى ابراهيم الحلاق على ناصية شارع السدالبرانى وشارع التلول والملاصق لحانوت الفكهانى الكائن فى شارع التلول .

وكان الأسطى محمود وقتذاك عاملا فى صالون الأسطى ابراهيم . . فاكتشف فيه أبى مواهبه . . واتخذ من الصالون مكانه المختار .

والمدهش أن الأسطى محمود — باعتراف أبى نفسه — لم يكن حلاقاً ماهراً بل كان أبى دائماً يتهمه بثقل اليد . . وكان كثيراً مايسبب له جروحاً فى ذقنه حتى انتهى به الأمر إلى أن يتخذ له حلاقاً آخر للحلاقة مع بقاء الأسطى محمود فى مركزه الممتاز كسمير ومضحك وصديق . . ومع استيلائه على أجرة الحلاقة الدورية المنتظمة دون أن تمس موساه ذقن أبى أو يمس مقصه شعر رأسه .

وفى ذات يوم فوجىء أبى بخلو صالون الأسطى ابراهيم

من الأسطى محمود . . فأصابه الدهش وتساءل عنه . . فأنبأه صاحب الصالون بأنه طرده . . وأنه أحضر بدله صنايعاً ممتازاً أكثر منه مهارة وطلب منه أن يجربه .

ولكن أبي لم يكن يعتبر الأسطى محمود حلاقاً . . بل كان يعتبره عبقرياً ممتازاً . . وفيلسوفاً كبيراً لم يجد الدهر بمثله . . وتعجب كيف لم يقدر الأسطى ابراهيم مواهبه وكيف طرده بمثل هذه السهولة . . دون أن يبدو عليه أسف ولاحزن . . ودون أن يغلق الحانوت حداداً على ذهابه . . وكيف يدعى أنه أحضر بدلا منه إنساناً ممتازاً أكثر منه مهارة ! ؟ .

ولم يجب أبي على دعوة صاحب الصالون . . بل هزّ رأسه فى حسرة وأسى . . وغادر الصالون دون أن يحاول أن يخطو به بعد ذلك مرة واحدة .

وذهب يبحث عن الأسطى محمود طيلة يومه حتى عثر عليه فى بيته بأحد أزقة البغالة . . ولم تمض بضعة أيام حتى كان الأسطى محمود قد افتتح صالوناً خاصاً به فى الناحية الأخرى من شارع السد لا يبعد كثيراً عن صالون الأسطى ابراهيم . . وكان أبي يتخذ منه مكانه المختار واضعاً ساقاً على ساق فى مدخل الصالون .

وسأل أبي الأسطى محمود عن سبب طرده من صالون

الأسطى ابراهيم ، فهز الأسطى محمود رأسه وقال أسفاً :

— مالهش فى الطّين ( يقصد الطيّب ) نصيب . راجل ضلالى ونيته وحشه .

— أيوه مفهوم . . لكن إيه السبب إللى خلاه طردك ؟

— آل إيه بيقول إنى هفقت مفتاح .

— بيقول إيه ؟ ! .

— هفقت مفتاح .

وبعد الشرح فهم أبى أن الأسطى محمود طرد لأن صاحب الصالون وجد النقدية فى صندوق المحل ناقصة فاتهمه بأنه وفق مفتاحاً فتح به الصندوق وأنه سرق ما به .

واستغرق أبى فى الضحك على تهمة التهفيق التى اتهم بها الأسطى محمود والتى كانت السبب فى طرده وقطع عيشه .

ومن ذلك الحين والكلمة لا تفارق لسان أبى . . فهو لا يكاد يلقى الأسطى محمود ، حتى يصيح به :

— هفقت مفتاح ؟

حتى أضحت بينهما كأنها سلام عليكم !

وكان أبى يأخذ فى شرحها كل مرة لمن لا يعرفها . حتى ضج الأسطى محمود وقال لأبى :

— ياسى سباعى . . الله لا يسيئك كفايه فضايح . .

مابلاش السيره المهببه دى ! دى ماكانتش كلمه .

ومع ذلك فقد استمر أبى يستعملها كتحية للأسطى محمود حتى وجد الأسطى محمود رداً لها .

كان ذلك عند ما أقبل عليه أبى ذات عصر متهلل الأسارير ، ضاحك السن ، وصاح بالأسطى محمود :

ـــ هفقت مفتاح ! .

فأجابه الأسطى محمود :

ـــ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. مالك مبسوط قوى كده ؟ خير إنشاالله .

ـــ خير قوى . . ما فيش بعد كده خير .

ـــ حصل إيه . . أخذت درجه ؟

ـــ أحسن .

ـــ أخذت فلوس من الحاج مصطفى ( الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الذى نشر له معظم كتبه ومنها رباعيات الخيام ) .

ـــ أحسن .

ـــ شفت بنت حلوه ؟ .

ـــ أحسن .

ـــ فيه إيه أحسن من كده ، يا أخى قوللى بقى وريحنى !

ـ أكلت ورقة لحمه معتبره .

ـ ودى حاجه غريبه . . ! ما انت كل يوم والتانى بتاكل ورقة لحمه .. هوّا انت وراك حاجه غير ورق اللحمه وورق الكتب ؟! .

ـ لا .. لا .. دى حاجه تانيه خالص .. دى ورقة لحمه ممتازه غير اللى كنت باكله خالص .. حاجه ما تخطرش على البال .

ـ يعنى إيه ؟ مش ورقة لحمه ، والا ورقة بنكنوت ؟! .

ـ لحمه . . لحمه يا غبى .

ـ يعنى لحمه من السما ! .

ـ من الجزار يا حمار .

ـ طيب كل مره ما انت بتجيبها من عند الجزار . . والا بتجيبها من عند باتا ا .

ـ دى ورقه ملوكى . . ما وردتش .

ـ إيه بس حكايتها ؟ .

ـ أنا أقول لك حكايتها . . النهارده رحت عند سلامه الرباط الجزار وقلت له يوضب ثلاثة أرطال فى ورقه زى العاده علشان أوديهم الفرن . . قعد يلم من هنا ومن هنا ، حته من بيت الكلاوى وحته من الفخده ، وإيشى عضم ، وإيشى شغت لغاية ما كمل الثلاثة الأرطال وابتدأ يوضبهم

وخرط عليهم البصلة وحط البهارات والتحابيش ولفهم فى الورق وقال لى اتفضل . . حاجه معتبره قوى .

ـــ هى دى الورقة المعتبرة ؟ .

ـــ لا . . مش هىّ .

ـــ أمال منين الورقة المعتبرة ؟ .

ـــ الورقة المعتبرة لقيته عمال يوضب فيها على جنب . . حتة قطعية نظيفه زى اللوز . . تلاقى حتة العضم ملبسه باللحم وفيها راق دهن زى القشطه . . وقعد يقسم فيها ويوضب ويخرط عليها ويرش ويحبش فاستعجبت وسألت الوادالصبى :

ـــ الورقه دى لمين ؟ .

فرد الواد بصوت واطى :

ـــ دى له . . للمعلم سلامه نفسه .

وقال الأسطى محمود معلقاً على قوله : « أظنك اتحسرت »

ـــ قوى . . وفضلت واقف أبص لها وأبص للورقة بتاعتى ومش قادر أتكلم .

ـــ الله يكون فى عونك .

ـــ المقصود لف الورقة واداها للواد الصبى علشان يوديها الفرن وأنا أخذت الورقة بتاعتى عشان أوديها الفرن .

ـــ وبعدين ؟ .

ـ ولا قبلين . . . وصلنا الفرن سوا . . . الواد سلّم الورقه بتاعته للفران . . وأنا سلمت ورقتى . . جه الفران يدخل الورقتين قلت له حاسب إوعى الورقتين يتلخبطوا لحسن دول زى بعض . . والا أقول لك .. هات لما أعلمهم أضمن ، وسحبت الورقتين ورحت قاطع من طرف واحده منهم حتة ورقه وقلت له : المقطوعه دى تبقى بتاعتى ، والثانيه بتاعة المعلم سلامه .. وبعدين سبت الفرن ورجعت له قرب الظهر كانت اللحمه استوت . . أخذت الورقه المقطوعه ورو حت البيت أكلت أحسن ورقة لحمه أكلتها فى حياتى .

ـ إيه الكلام ده ؟ إنت مش بتقول أخذت الورقه المقطوعه بتاعتك ! .

ـ أيوه أخذت الورقه المقطوعه لكن ما كانتش بتاعتى لأنى لما جيت أعلم الورقه قطعت ورقة المعلم سلامه .

ومنذ ذلك اليوم . . وحتى بعد انتقاله بصالونه إلى شارع خيرت والأسطى محمود يعرف كيف يرد التحية . . فلا يكاد والدى يهتف به : « هفقت مفتاح » .

حتى يجيبه بأعلى صوته : « رحت الفرن » .

فإذا سأله أحد شرح له المسألة بحذافيرها .

وقال لأبى : « واحده بواحده والبادىء أظلم » .